الدبلوماسية الإعلامية-الاتصالية

كمواطن عولمي، ضمن ما يقرب اليوم من المليارين من البشر، يستخدمون "الشبكة العنكبوتية" لأغراض مختلفة، أخذني الإبحار في هذه الشبكة ذات يوم إلى منهج كلية الهندسة البترولية، في إحدى الجامعات العربية، وكانت المفاجأة بالنسبة لي، أن أجد مقررا في فن من فنون "الاتصال" يدرس في هذه الكلية، فاستغربت لذلك، إذ؛ ما العلاقة بين "الاتصال" و"الهندسة"؟ لكن اندهاشي لم يدم طويلا، فقد اهتديت إلى الإجابة من خلال تصفحي السريع لمكونات ذلك المقرر –أو ما يسمى في الحقل الأكاديمي المفردات-، حينها أدركت مدى تشابك هذا العلم مع مختلف التخصصات العلمية الأخرى، وأهمية تدريس فنونه في كل التخصصات الجامعية، كل بما يتناسب معه.

فلا أدل على مدى أهمية الاتصال في حياتنا، أكثر من كونه قد لازم الإنسان منذ فجر التاريخ، بل منذ لحظة وجوده الأولى على كوكب الأرض، ورافقه بعد ذلك طوال مسيرته الحضارية، في ظل علاقة طردية تربط بين تطور المجتمعات من ناحية، وتطور أنظمة الاتصال وأدواته؛ من ناحية أخرى، بناء على مدى إدراك هذه المجتمعات لأهمية هذا العلم في حياتهم، والمنافع المترتبة على الإلمام به، ومن ثم فقد أدمجوه في مناهجهم الاتصالية، حتى في دراسة تخصص الهندسة!

لكننا لن نستطرد هنا كثيرا في الحديث عن العلاقة بين فنون الاتصال والتخصصات العلمية الأخرى، فنحن لم نتمكن بعد من إعطاء هذا العلم حقه في كليات الإعلام وأقسامه المتخصصة في هذا المجال، والمعنية بتدريسه في المقام الأول، وتدريب الدارسين على فنونه، وإكسابهم مهاراتها، ومن ثم سنعرج قليلا في الحديث عن أحد أنواع الاتصال القديم-الجديد، وذلك في سياق "الأولويات"، وليس من باب "الهروب" من مواجهة إحدى إخفاقاتنا العلمية الواضحة!

فإذا كانت الدبلوماسية تعرف –من ضمن تعريفاتها العديدة- بأنها فن الحوار، وهي علم إدارة التواصل بين الدول، وفن هذه الإدارة، والذي عادة ما يبدأ بالحوار، وينتهي بالتوصل إلى أكبر قدر من المكاسب المختلفة: المادية أو المعنوية - إذا كانت الدبلوماسية كذلك، فإننا أمام عمل اتصالي في المقام الأول، يتطلب مهارات اتصالية عالية، فتحقيق هذه المكاسب مرهون بمدى توفر هذه المهارات لدى الأطراف الدبلوماسية المشتركة في هذه العملية الاتصالية، أو الاتصال الدبلوماسي.

ومن ناحية أخرى؛ فإن عددا من الشروط الواجب توفرها في العاملين في السلك الدبلوماسي، تؤكد العلاقة القوية بين الاتصال والدبلوماسية، كاللباقة في الحديث، وإجادة فن الكتابة، والخطابة، ومعرفة لغة البلد المقصود، وإجادة التصرف في المواقف الصعبة، فضلا عن حسن المظهر، والذي هو في حد ذاته اتصال غير لفظي، وغيرها من الشروط الأخرى، والتي هي في مجملها أنشطة اتصالية في المقام الأول. ناهيك عن كيفية التعاطي مع وسائل الإعلام، والتعامل مع القائمين على الاتصال فيها، انطلاقا من الإيمان بدور هذه الوسائل، وأهمية المتصلين في مساندة العمل الدبلوماسي، وكلها تتطلب معرفة بأسس الإعلام والاتصال، وامتلاك مهاراتهما بدرجة عالية، تمكن الدبلوماسي من تأسيس علاقة طيبة مع هذه الوسائل ابتداء، والمحافظة عليها بعد ذلك، للاستفادة من إمكانياتها الهامة، لأداء الوظيفة الدبلوماسية على أفضل نحو ممكن، وتحقيق الأهداف المرجوة منها في خدمة البلدان، والمحافظة على صورتها الإيجابية.